سراج أموي إسلامي من أم الجمال – الأردن

عبدالقادر محمود الحصان

New Islamic Pottery Lamp from Umm al-Jimāl- Jordan

Abdalqader Al housan

Abstract:

This article deals with Inscribed Pottery Lamp discovered recently in a rescue excavation carried out by the Department of Antiquities Office at Umm el-Jimal.by the researcher .

Keywords: Oil Lamp, Jordan, Umm el-Jimal

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على سراج إسلامي أموي عثر عليه في بلدة أم الجمال الأثرية عام ٢١٠٦م أثناء أعمال الترميم والصيانة للكاتدرائية البيزنطية في جدارها الشمالي، ويحمل السراج نقشًا يشير إلى أنه قد صنع في مدينة جرش الأردنية.

الكلمات الدالة

أسرجة فخارية، الأردن، فخار جرش، أم الجمال.

مقدمة

تعد منطقة أم الجمال إحدى المناطق التي يعتقد بأنها شهدت ازدهارًا على مختلف الصعد أثناء الفترتين الرومانية و البيزنطية (**الشكل ١**). و يبدو أن المنطقة كانت على علاقة اقتصادية واجتماعية مع العديد من المدن في منطقة بلاد الشام عامة، وتعد مدينة جرش احدى أهم المدن التي اشتهرت فيها الصناعة الفخارية حتى ظهر ما يسمى بالسراج الجرشي وهو يتميز بظهور اسم مدينة جرش عليه إضافة إلى المقبض على هيئة رأس حيوان غريب يبدو أنه الخفاش والذي هو دائمًا رفيق للظلمة. و يَعرض هذا البحث أحد الأسرجة التي عثر عليها أثناء أعمال ترميم وصيانة الكاتدرائية البيزنطية وإعادة بناء بعض المباني في المدينة الأثرية، إذ عُثر على السراج بين مداميك الكاتدرائية السفلى والصف الرابع على وجه التحديد بين صفي الحجارة مباشرةً ، وقد صُنِعَ عن طريق القالب وهو مكتمل باستثناء كَسرٌ بسيط في يد السراج.

قياسات السراج:

وجاءت قياسات السراج على النحو الأثري (**الشكل٢، ٣**).

- ا لطول : ١٢,٢سم.
- ا لعرض : ٧سم.
- الإرتفاع : ٣,٦ سم.
- ا لإرتفاع مع اليد : ٧,٥سم.
- السمك : ٠,٤-٠,٥سم.
- فتحة الفتيل : ١سم.
- فتحة الزيت : ٢,٧سم.

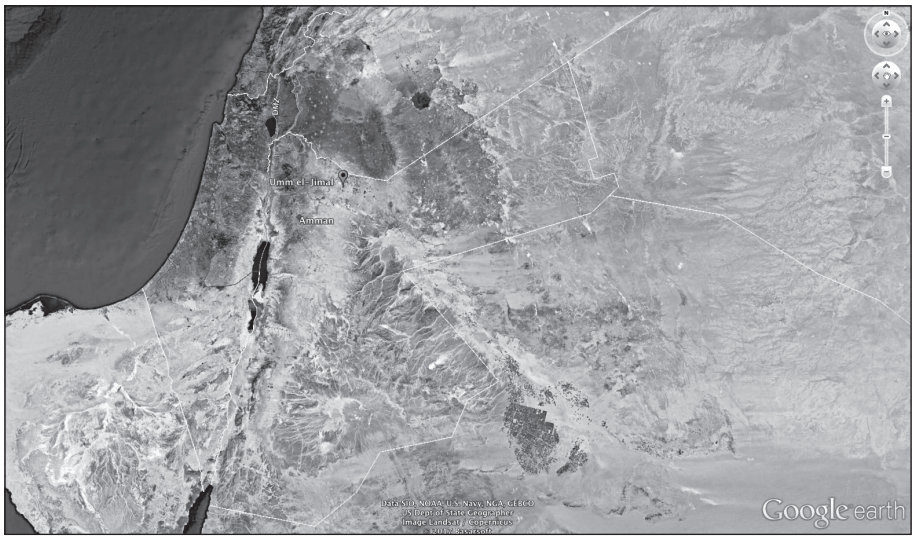

١. موقع بلدة أم الجمال.

قراءة النص العربي الكوفي على السراج:

"صنعه عطية [في] جرش"

ويلاحظ صعوبة قراءة النقش الذي يحمله السراج إذ يبدو أنه قد نُقش بطريقة غير احترافية حيث تتداخل الحروف في بعض الأحيان لاسيما كلمة جرش، ويؤكد الشكل العام وجود كلمة جرش أن هذا السراج ينتمي إلى ما أطلق عليه السراج الجرشي «Jarash Type» الذي يتميز بوجود كلمة جرش إضافة إلى مقبض يدوي على شكل طائر يعتقد بأنه الخفاش. جاء السراج على شكل بيضاوي مدبب ومحدب من الأعلى إلى الأسفل، فيما جاءت فتحة الزيت دائرية الشكل ومحاطة بحافتين دائريتين، أما فتحة الفتيل فجاءت بيضاوية الشكل تقريبًا مع وجود أثر حريق لإستعمال السراج لفترة بسيطة، وقاعدة السراج على هيئة جرة النبيذ والمحور عبارة عن دائرة محاطة بستة أشكال لولبية.

صنع هذا السراج بواسطة القالب الخشبي المنحوت والمقسوم إلى قسمين: علوي وسفلي وقد تم لصق القسمين مباشرة وهما طريين مباشرة ليكونا السراج المتكامل وهذه تقنية معروفة منذ العصور الكلاسيكية القديمة وقد صنع من عجينة زهرية اللون ذات حرق جيد وهي نقية تخلو من الشوائب، ويظهر أثر بصمات أصابع الصانع على يد السراج، وقد عثر على أمثلة مشابهة لهذا السراج في مدينة جرش وعمان وكذلك في أم الجمال.

وكان الباحث قد أشار في كتابه الموسوم بـ (مدونة النقوش العربية الإسلامية في محافظة المفرق والأردن، صفحة رقم ١٤١)، إلى أنه قد عثر على قطعة لسراج فخاري يحمل نقشاً إسلاميًا أمويًا في أم الجمال عام ١٩٩٣ في مقر الحاكم المدني البروتوريوم (قاعة العرش) (**شكل٣أ، ب**) ويماثل شكل قطعة السراج تلك، السراج موضع الدراسة (قاعة العرش). وقد حملت قطعة السراج العليا وهي من العجينة السوداء والنقية والمحروقة على درجة حرارة عالية النقش الآتي:

بجرش في سنـــ[ـة]
أربع وتسعيـــ[ـن]
(الحصان ٢٠٠٧).

٢. أ. السراج المكتشف حديثًا. ب. الرسم التفريغي للسراج.

السراج الجرشي «Jarash Type»

أشارت الباحثة فلورنسا ديا (Day, E. 1942) في مقالتها عام ١٩٤٢ إلى وجود نوع من الأسرجة الفخارية المقولبة،أطلقت عليه النوع الجرشي والذي يتميز بصفات محددة لاسيما الإنتشار في منطقة جرش وظهور اسم مدينة جرش بالعربية عليها في الفترة الإسلامية- الأموية، ولكنها تشير إلى ظهور الشكل العام للسراج في الفترة السابقة للإسلام في المنطقة لاسيما شكل المقبض اليدوي، وأشارت أيضًا بشكل حذر إلى أن تأريخ هذا النوع من الأسرجة يعود إلى حقبة ما بين القرنين الخامس و الثامن الميلاديين مع وجود الكتابات العربية الإسلامية في العصر الأموي.

أم الجمال

تقع بلدة أم الجمال على بعد ٢٠ كيلومترًا شرق مدينة المفرق في منطقة تتميز بالحجارة السوداء ذات الأصل البركاني، وهي تعد من خصائص منطقة جنوب حوران بشكل عام، وتأتي مدينة أم الجمال خلف مدينتي البتراء وجرش من حيث الأهمية الأثرية في الأردن (De Vries 1981: 53)، ولقد كان لتوافر المصادر المائية والتربة الخصبة وكذلك الموقع المهم من أهم الأسباب التي جعلت من المنطقة نقطة جذب رئيسة لعديد من الحضارات التي قامت في المنطقة لاسيما النبطية، والروماني- البيزنطية ولم يكن يعرف على وجه التحديد الاسم القديم لمنطقة أم الجمال إلى عهد قريب فمثلًا يربطها بتلر بمدينة ثانتيا في خارطة العصر الروماني (Butler 1913: 151 "Peutinger Table")، ولا يتفق دي فريز مع هذا الرأي ويرى أنه ضعيف (De Vries 1993: 453)؛ إذ يربطها بالموقع الذي يسمى سوراتثا وهو مكان غير محدد في شمالي الجزيرة العربية بناءً على ما ورد في جغرافية بطليموس (Mac Adam 1986: 17) ولكن الباحث يعتقد جازمًا

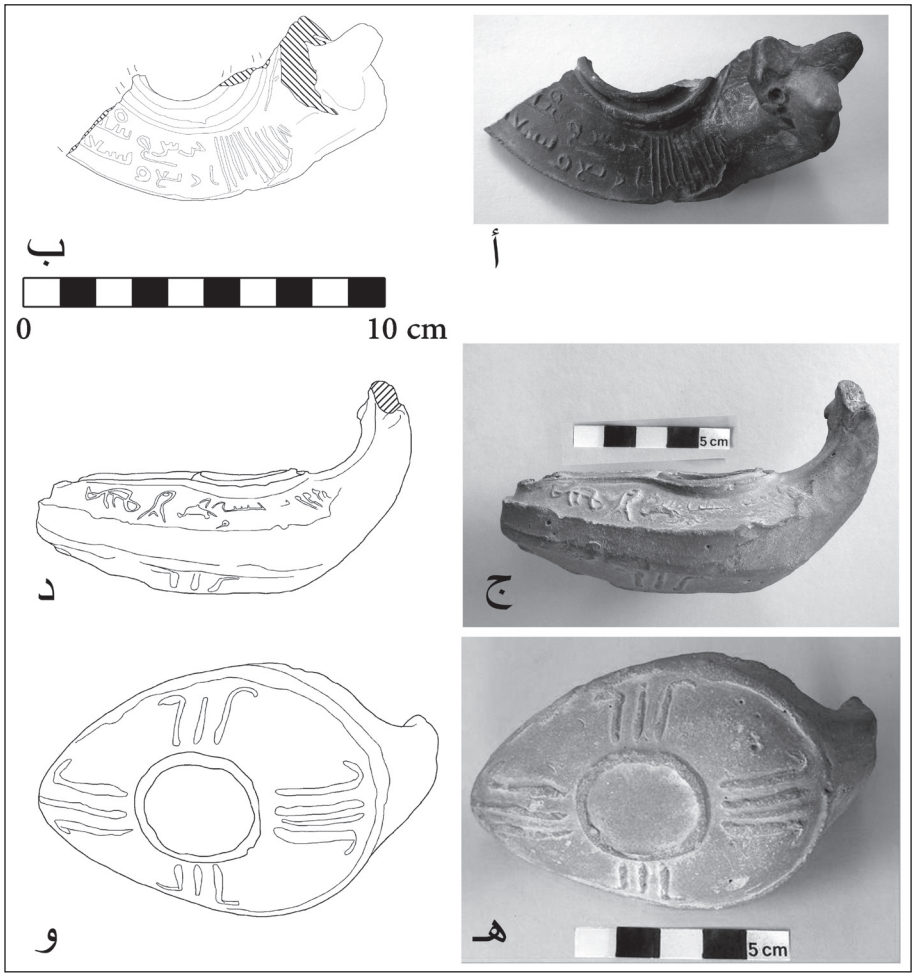

٣: |أ. سراج فخاري عثر عليه في أم الجمال. |ب. الرسم التفريغي للسراج الفخاري. |ج. السراج من الجانب. |د. الرسم التفريغي للسراج من الجانب. |هـ. السراج من الأسفل. |و. الرسم التفريغي للسراج من الأسفل.

٤. خارطة تظهر اسم بيت جامول (أم الجمال).

بأنَّ اسم أم الجمال القديم هو: بيث جامول أي بيت الجمال في اللغة السريانية و الزاخرة بالإبل الكثيرة التي ترتاد المدينة عبر العصور التاريخية وهي كما نعلم سفن البادية عبر الطرق التجارية ما بين بصرى الشام خاصةً وكل مدن بلاد الشام عامةً، وقد عثر الباحث على خارطة قديمة تعود للقرن التاسع عشر في إسطانبول وهي مكتوبة باللغة اللاتينية (**الشكل ٤**) وقد نُقلت عن خارطة أكثر قدمًا تعود إلى الرومان وقد تحدد من خلالها المدن الموجودة على الطرق التجارية القديمة – طريق تراجانوس خاصةً إذ حددت بلدة ثانتيا وهي موقع ثغرة الجب والخربة السمرا ذكرت تحت اسم حتيتة – أي حديثة في العصر النبطي واستمر استعمالها في العصور اللاحقة وخاصة الرومانية وكذلك موقع جديدة وهو موقع خربة خو (الحصان ٢٠١٩).

تأسيس المدينة

يُعتقد أن بلدة أم الجمال قد تأسست خلال العصر النبطي- الروماني المبكر (٦٣ق.م-١٠٦م)، إذ يرى نلسون جلوك أن المدينة تأسست كمحطة تجارية على

الطريق التجاري النبطي الذي يربط الجزء الجنوبي من المملكة النبطية بالجزء الشمالي منها في جنوب سوريا، ويفترض أن هذا الطريق يمر عبر وادي السرحان وكذلك عبر طريق الملوك والذي سُمِّي لاحقًا بطريق تراجانوس في العصر الروماني بعد اصلاحه وتنظيمه و وضع الحجارة الميلية على طرفيه (Glueck 1939: 140-146).

وخلال هذا الفترة وكنتيجة لغياب الفخار النبطي في موقع أم الجمال والمواقع الأثرية الأخرى في شمالي الأردن وجنوبي سوريا؛ استدل جلوك على الوجود النبطي في أم الجمال ببعض النقوش النبطية والقبور المقببة، وبناءً على هذه الأدلة يفترض أن أم الجمال قد كانت خلال هذه الفترة مستوطنة صغيرة ذات أهمية إستراتيجية على طرق التجارة (Glueck 1942: 5-6).

أما بيرت دفريز فقد انتقد هذه النظرية؛ إذ يعتقد أن القوافل التجارية القادمة عبر وادي السرحان من الممكن أن تتوقف في أماكن أخرى غير أم الجمال مثل المفرق أو أم السرب، وأن أم الجمال سُكنت خلال هذه الفترة بشكل محدود، ولكنه يربط الدور الذي كانت تشغله أم الجمال في تلك الفترة بمدينة بصرى الشام عاصمة الولاية العربية (De Vries 1985: 254, 1990: 14) ويعتقد الباحث بأن بداية أم الجمال قد كانت في القرن الأول قبل الميلاد في موقع قريب من المدينة الحالية وإلى الجنوب الشرقي منها ألا وهي خربة الهري والتي لا تبعد سوى ١,٥كم ومن ثم نُقلت المدينة الناشئة إلى الموقع الحالي لقرب المصادر المائية شبه الجارية موسميًا وهي وادي اللص والذي من خلاله جرت المياه إلى الموقع عبر قناة مسقوفة للبرك التي أخذت منه الحجارة الخاصة للبناء، وكان ذلك في القرن الأول قبل الميلاد (الحصان ١٩٩٩).

الأعمال الأثرية في أم الجمال

بدأت أعمال المسح الأثري في أم الجمال مبكرًا؛ إذ كانت المدينة جزءًا من المسح الأثري الكبير الذي قامت به جامعة برنسيتون إلى جنوب سوريا في الفترة مابين ١٩٠٤ إلى ١٩٠٥ وكذلك ١٩٠٩ تحت إشراف بتلر، إذ تمكن فريق المسح آنذاك من عمل خارطة للموقع تضمنت حوالي ٤٠ من المباني الرئيسة تغطي ما مساحته ٨٠٠م طولًا و ٣٠٠-٥٠٠م عرضًا، بالإضافة إلى تحليل تاريخي للأبنية التي تم مسحها، فضلًا عن تسجيل العديد من النقوش داخل وحول المدينة، ومن هنا تعتبر هذه المسوحات نقطة مرجعية للبحث الأثري في الموقع (Butler 1913: 151-152).

إضافة إلى ذلك كانت المدينة خلال نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات جزءًا من البحث الذي قام به جلوك المتعلق بانتشار الفخار النبطي في المنطقة الواقعة إلى الشمال من مدينة مادبا والذي عرف بنظرية خط مادبا(Glueck 1939: 140-146).

وفي عام ١٩٣٧ قام هورسفيلد (Horsfield) بعمل تصوير جوي للموقع وقد كان مهمًا للتعرف على التغيرات التي حدثت على طبيعة المدينة منذ مسوحات بتلر (De Vries 1981: 54).

وفي سنة ١٩٥٦ أجرى كوربيت (Corbett) دراسة معمارية لكنيسة جوليانوس للتأكد من صحة تأريخ بتلر لهذه الكنيسة بسنة ٣٤٤م، وقد استنتج أن النقش الذي استند عليه في تأريخ الموقع كان في الأصل عبارة عن نقش جنائزي أعيد استخدامه مرة أخرى في المبنى، وقد أعاد كوربت تأريخ بناء الكنيسة إلى بدايات القرن الخامس الميلادي بناءً على الأمثلة المشابهة (De Vries 1981: 54-55). في الفترة من ١٩٧٢-١٩٧٣ أجرى ألبرايت(Albright) مسحًا معماريًا للبوابة الجنوبية الشرقية للمدينة ولكل المباني التي تقع حول الصهريج المائي الرئيسي، وفي الفترة نفسها قام كذلك دفريز بعمل تصوير جوي للموقع (De Vries 1981: 56).

أجرى دفريز في عام ١٩٧٤ مسبارًا -مجسًا- اختباريًا للموقع لمعرفة التسلسل الزمني للفترات التي شهدتها أم الجمال ولتحديد المكان المقترح للحفريات المستقبلية في الموقع، وقد استنتج بناءً على دراسة الفخار أنّ بداية الاستيطان في الموقع قد بدأت في العصر الروماني المبكر (De Vries 1981: 56). وقد استمرت أعمال المسوحات من قبل دفريز في سنة ١٩٧٧ في الجزئين الشمالي والجنوبي من المدينة، وذلك لإختيار مواقع مرشحة للحفريات في الموسم التالي وقد كانت المواقع المختارة هي المباني التالية (باستثناء الكنائس): المباني التحصينية والسكنية (De Vries 1981:65).

وقد أسفرت أعمال التنقيبات والمسوحات الأثرية الميدانية في المدينة عن وجود استيطان ضعيف خلال العصر الروماني المبكر، لكن الموقع قد شهد استيطانًا كبيرًا خلال الفترة الرومانية المتأخرة؛ إذ تشير الأدلة الفخارية والكتابية إلى تأسيس بوابة كومودس خلال هذه الفترة، وقد شهدت هذه الفترة أيضًا تشييد طريق يربط الموقع بقريتي صبحى و أم القطين حيث عثر على عمود مسافات (Milestone) يؤرخ إلى فترة دوقلديان (De Vries 1981: 68, 1993: 433).

وفي العصر البيزنطي المبكر شهدت المدينة تشييد المبنى المعروف (Barracks) الذي شهد عديدًا من التغييرات خلال العصر البيزنطي المتأخر بالإضافة إلى البدء في تشييد العديد من المباني الدينية كالكنائس (De Vries 1981: 68). ويعتقد أن العديد من المباني مثل المبنى المعروف (Praetorium) و(House XVIII) قد شيدت خلال العصر البيزنطي المتأخر مع بعض التحفظات من قبل المنقبين (De Vries 1981: 70).

وقد استمر الإستيطان مزدهرًا في موقع أم الجمال خلال الفترة الأموية، وقد حافظت المدينة على كونها بلدة ريفية ذات اقتصاد مزدهر خلال هذه الفترة، واستمر السكن في المواقع السابقة مع إجراء بعض التعديلات، التي تشير إلى استمرارية السكن في الموقع (De Vries 1981: 70-71). وقد بقي الموقع طي النسيان لفترة طويلة حتى استوطن أخيرًا في عشرينيات القرن العشرين من قبل عدد من العائلات الدرزية (بني معروف) القادمة من سوريا، وقد أدى استيطان هذه العائلات إلى إيجاد عديد من المشاكل في تأريخ عدد من المباني وعلى الأخص المبنى المعروف بالمعبد النبطي، الذي أجري عليه كثير من التعديلات مثل إضافة الأقواس، الأمر الذي شكل مشكلة كبيرة في تأريخ المبنى (De Vries 1981: 71-72).

وفي بداية العام ١٩٩٢م قام الباحث ببداية أعماله العلمية في التنقيبات الأثرية في عدد من المواقع الهامة مثل الموقع الذي يسمى بالمعبد النبطي، وقد اتضح للباحث بان المبنى المتكامل عبارة عن استراحة نبطية متكاملة من حيث وجود مكان للنوم في الطابق الثاني ومكان للحيوانات كإسطبل مزود بالمذاود وكذلك مطبخ وحمامات كبنية تحتية متكاملة وساحة سماوية في وسطها بئر لجمع مياه الأمطار .أما ما كان يسمى معبد نبطي فهو مكان إستقبال المسافرين وتسجيل حاجياتهم أثناء عبور المدينة آنذاك وقد عثر الباحث في الطبقات الدنيا على العديد من المسكوكات النبطية والكسر الفخارية النبطية الملونة الرقيقة وعظام الجمال أيضًا وكان المبنى بحد ذاته قلعة تحمي ذاتها بذاتها؛ لوجود الطلاقات الخاصة برمي السهام عند المداخل الرئيسة لأن المدينة في العصر النبطي لم يكن لها أسوار دفاعية والتي بُنيت في العصر الروماني المبكر مع بوابة كوميدوس.

كما أجريت حفريات في مبنى البروتوريوم (الحاكم الإداري) بشكل كامل واتضح بأنه مقر للحاكم الروماني في القرن الثالث الميلادي وكذلك مقر للحاكم الأموي وقد زود بحمامات أموية فيها الفسيفساء ومصاطب الجلوس للغرفة الحارة والدافئة والباردة على السواء .

كما استمر الباحث في أعمال المسح والحفريات في الموقع حتى عام ٢٠١٦م وقد تم الكشف عن كنيسة جديدة هي كنيسة القديسة مريم والمسجد الأموي والحمامات النبطية والكثير من النقوش الثمودية، النبطية، الإغريقية، العربية الإسلامية، السريانية، اللاتينية والصفائية.

زد على ذلك أعمال الصيانة والترميم العديدة للمواقع والكنائس وخاصة الكتدرائية والمزدوجة والسريانية والتي كانت تسمى الكنيسة الجنوبية-الشرقية كما يعمل الباحث حثيثا مع بلدية أم الجمال كمستشار وباحث أكاديمي لوضع الموقع ضمن التراث العالمي بالتعاون مع وزارة السياحة والآثار للعام ٢٠١٩م (الحصان، **موسوعة أم الجمال**، قيد الطبع: ٢٠١٩).

عبدالقادر الحصان
aluousan@yahoo.com
المفرق – الأردن

المراجع

الحصان، عبدالقادر
١٩٩٩ **محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور – دراسات ومسوحات أثرية ميدانية**، مادة ام الجمال ص ص. ١٢٧-١٥٦. الطبعة الأولى، عمّان: مطابع الأرز.

الحصان، عبدالقادر
٢٠٠٧ **مدونة النقوش العربية الإسلامية في المفرق و الأردن،** ص ص (١٤١-١٤٢) نقش رقم (١٦) ام الجمال – العصر الأموي. الطبعة الأولى. عمّان: مطبعة السفير.
الحصان، عبدالقادر
٢٠١٩ **موسوعة أم الجمال وجوارها** – حفريات وبحوث ميدانية أثرية واجتماعية ما بين الأعوام: ١٩٩١-٢٠١٧م، كتاب تحت الطبع على حساب بلدية ام الجمال.

Butler, H.C.
1913 Ancient Architecture in Syria in 1904-1905 and 1909. *Publication of the Princeton University Archaeological expedition to Syria*. Div.II.Part.3. Umm Idj-Djimal: 194-213.

De Vries, B.
1981 The Umm el-Jīmāl Project, 1972-1977. *BASOR* 244:53-72.
1985 Urbanization in the Basalt of north Jordan in Late Antiquity: The Case of Umm el-Jīmāl. *SHAJ II*: 249-256.

1990 "Gem of the Black Desert": A brief Guide to the Antiquities. Al-Kutba Publishers, Amman :Jordan.
1993 The Umm el-Jimal Project, 1981-1992. *ADAJ* 37: 433-466.

Glueck, N.
1939 Explorations in Eastern Palestine, III (1937-1939). *AASOR* 18/19:1-288.
1942 Nabataean Syria. *BASOR* 85: 3-8.

MacAdam, H.
1986 Studies in the History of the Roman Province of Arabia. Oxford: *BAR* International series 295.

'Amr, Abdel-Jalil.
1988 Two Early Abbasid Inscribed Pottery Lamps from Ğeraš. *ZDPV* (1953-) Bd. 104 (1988):146-149.

Day, E.
1942 Early Islamic and Christian Lamps. *Berytus* Vol. VII: 65- 79.

Khairy, Nabil I. and 'Amr, Abdel-Jalil.
1986 Early Islamic Inscribed HG.